الأستاذ: لصفر محمد
الوحدة: فلسفة الفعل
المستوى: ماستر سنة ثانية
المحاضرة الأولى: في مفهوم ودلالة المصطلح "فلسفة الفعل"

مما لا شك فيه أنّ البحث عن دلالات فلسفة الفعل يشكل خطوة لفهم تطور هذه الفلسفة بعمق في الفكر الفلسفي ذاته وفي بلورة الحقيقة كما تصورها الفلاسفة من الفترة اليونانية "سقراط – أفلاطون" إلى الفترة المعاصرة مرورًا بالفكر الوسطي الإسلامي المسيحي، ولأن دلالة المصطلح تفرض بالضرورة التقاطع والتداخل بين مصطلحات تعد ضرورية وأساسية لفهم هذه الفلسفة كان لزامًا علينا ضبطها وبيان ماهيتها وأهميتها، فما معنى إذن فلسفة الفعل؟ وماهي شبكة المفاهيم التي ترتبط بها ؟

1- "مفهوم فلسفة الفعل"

إذا كانت الدلالة المفهومية لمصطلح "فلسفة الفعل" تكشف عن ثنائية متقابلة متمايزة بين مفهومين مختلفين على اعتبار أن مصطلح: "فلسفة" متعلق بالفكر بينما مصطلح الفعل متعلق بالواقع، ولهذا فإن أزمة المصطلح في الظاهر تلغي التجانس بينهما بينما في الحقيقة يظل التداخل بين المفهومين ضروري دون الحديث عن أسبقية الفكر عن الفعل الذي يحقق التجسد في الواقع، ولهذا فلا مجال للتأكيد بأسبقية الفعل عن الفكر كما هو متناغم مع الفلسفة المادية، أو بأسبقية الفكر عن الفعل كما هو الحال في الفلسفات المثالية، وقد لخص العيادي مفهوم الفعل في كتابه: "فلسفة الفعل بقوله: "**إن فلسفة الفعل التي نعني هي صيغة الفكر التي تستجمع صيغة الوجود التام لكيان الإنسان في العالم بقدرتها على التنقل في مسافة التعاكس التكويني بين صعيدي النظر والعمل**"[1] وانطاقا من ذلك فإن فلسفة الفعل هي فلسفة عامة يمكن أن تشمل "فلسفة السياسة الأخلاق" "الإقتصاد" ذلك لأن الدعوة هنا يجب أن تكون صريحة في التأكيد على إنخراط نظرة الفكر الذي هو من صميم "التفلسف" وجوهره في الفعل وتصبح فلسفة الفعل بمقتضى ذلك: "نشاط إجرائي" على حد تعبير العيادي، وإذا كان التداخل في المصطلح يفرض تحديد ماهية الفعل-فما المقصود بالفعل؟ وبماذا يتميز الفعل عن الانفعال والإرادة والانشغال؟ على حد تعبير أرسطو الفعل يقابل الإسم، "على اعتبار أن الأسماء والكلم أنفسها تشبه المعقول من غير تركيب أو تفعيل[2]" وعلى هذا فإن الخصوصية في اللسان العربي تفرض وجود دلالتين متمايزتين ترتبط الأولى بالسياق اللغوي أمّا الثانية فترتبط بالسياق الاصطلاحي،وذلك في سياق الحديث عن الكلمة في معنى الفعل.

تشير الدلالة لإصطلاحية لمعنى الفعل الى وجود تعريفات متعددة، فإذا كان الكلم"الفعل" متعلق بالسياق الاحداثي. فإن الفعل يدل من الناحية اللغوية على اللفظ الذي يدل على المعنى وعلى زمانه أي على جملة التحولات والتغيرات التي تطرأ على الكلمة، وهو ما أشار إليه أرسطو في سياق حديثه عن "القول والفكر والكلمة" في كتاب: "العبارة" إذ يقول في ذلك: "... **لكنه ليس هو بعد حقًا ولا كذبًا ما لم يستثني معه بوجود أو غير وجود مطلقًا أو في زمان"**[3]. ومن الناحية الاصطلاحية فالفعل د ال على الإحداث الصادر عن حركة الإنسان كناية عن كل عمل منفذ، ويمكن تقويم هذا الأثر الصادر وفق ثنائية "الصدق – الكذب" "الحسن – القبح"، ويمكن الفعل أن يحمل معاني متعددة حسب السياق فقد يشير إلى: الكلام – العلم، الإحداث الإيجاب.[4]

وإذا كان الطابق الاصطلاحي لمعني الفعل يشير إلى تعقد المفاهيم فإن تحديد، هذه الخصائص تؤكد الوقوف المميزات التي تجعل من كل فعل وظيفة من وجهة نظر الذات والتي لخصها عزت القرني في كتابه الذات والفعل:[5]

1- الفعل في النهاية هو إتصال بالعالم والآخرين على نحو معين.
2- هو إعادة تنظيم البيئة.
3- هو من أوجه إعداد الذات لمجابهة العالم و الأخرين.
4- هو إحداث تأثير إيجابي مقصود في شيء أو موقف أو في البيئة وتعميمها.
5- هو تحرك قصدي.
6- هو القيام بعمليات معينة على نحو معين.
7- هو أداء محدد له زمن.
8- هو إحداث أمر ذي معنى.
9- هو إحداث تغيير مقصود في الوسط المحيط.
10- هو الفعل مقصود الذات والأشياء.

إن هذه التعاريف المتعددة تؤكد في مجملها على إختلافها وتمييزها، على اعتبار أنّ هناك تعاريف أكثر عمومية وشمولية إلا ّ أنها تشترك في كونها تطرق إلى خاصيتين أساسيتين للفعل: "إحداث"- "تأثير" لتنتقل بعدها إلى إعتبار صلة الفعل بالعمل و السلوك والنشاط ومن خلال ذلك يمكننا أن نتساءل عن ماهي الخصائص الجوهرية للفعل؟

3- الخصائص الجوهرية للفعل: من خلال التحليل السابق يتضح أن الفعل ينفرد بمجموعة من الخصائص الجوهرية يلخصها القرني بإرجاعها إلى ثلاث بؤر رئيسية، تتعلق الأولى بالحركة الجسمية والتي ترتبط بالفعل من حيث طبيعته الداخلية الحميمية، وبؤرة الفاعل أو المشيئة وهي التي تتصل بالفعل من حيث سببيته وهدفه ونوع المسؤولية عنه، وأخيرًا بؤرة "الأثر الخارجي أو الظاهر وإن اعتبرنا أنّ الأثر

خارج عن الفعل في حد ذاته إلا أنه نشاط ضروري، فالنشاط مهما كان نوعه هو فعل بـ المعنى الإصطلاحي، ومن جملة الخصائص السابقة ترتبط مفاهيم مركزية فمثلا: ففي حالة الحركة الجسمية "فإن النشاط الإنساني لا يمكن أن يقوم خارج الأشكال الأربعة:

- ألان داخلية تتعلق بجملة العوامل النفسية والعقلية: الشعور- الإدراك –الإ نفعال– التفكير.... الخ.
- تحركات جسمية ظاهرة عرضية أو عارضة.
- التعبير عن معاني بعينها.
- الفعل بالمعنى الدقيق.

بعد هذا العرض التحليلي الذي قدمناه حول الخصائص التي ينفرد بها الفعل على سبيل الحصر يتضح أن الفعل يختلف عن مختلف المفاهيم الأخرى كالإرادة.[6]الإنفعال - السياسة – الدين –الإرتكاس– التشاؤم –الدزاين إن تحديد هذه المفاهيم الأخيرة متعلق بتطور الفلسفات عبر الأزمنة، فكيف تطورت فلسفة الفعل تاريخيا؟ وكيف إنعكس وجودها في كل نسق فلسفي؟.

هوامش المحاضرة:

1) العيادي (عبد العزيز) فلسفلة الفعل، مكتبة علاء الدين صفاقس 2007، ص09.
2) أرسطو (طاليس) العبارة، منطق أرسطو: تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت البنان)، ط1، 1980، ص102.
3) المرجع نفسه، ص101.
4) العيادي (عبد العزيز)، مرجع سابق، ص15.
5) القرني(عزت) الذات ونظرية الفعل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، 2001، ص162.
6) المرجع نفسه، ص169.

المحاضرة الثاني: مسار فلسفة الفعل في الفلسفة اليونانية والاسلامية

تمهيد:إن فهم أي فلسفة مهما بلغت درجة حدتها وحداثتها لا يتم إلى من خلال التنقيب عن أصولها، أول بالأحرى من خلال دراسة تاريخها كما عبر عن ذلك أوغست كونت، ولأن المسار التطوري للفلسفة يؤكد تأثر اللاحق بالسابق وهو جوهر العمل الفلسفي وهوة ما يدفعنا عن البحث عن نشأة فلسفة الفعل في الفكر القديم وهل يمكن أن نجد مكانًا لهذه الفلسفة في الفكر اليوناني والإسلامي؟ إن لإجابة عن هذا التساؤل تقتضي بالضرورة تتبع مسارها في الفلسفة اليونانية أولا ً عند سقراط وأرسطو، وفي الفكر الإسلامي عند أبو الحيان التوحيدي الفرابي– ابن مسكويه/ كيف يمكن استقراء مفهوم الفعل في الفكر اليوناني والاسلامي؟

1-مسار مفهوم الفعل في الفلسفة اليونانية: إن تتبع الإرهاصات الأولى لفلسفة الفعل في الفكر اليوناني يمكن العودة إلى اللحظة التي أعلن فيها سقراط ثورته اللامحدودة ضد الأفكار التي ولجت المجتمع اليوناني وبالأخص من المصادر السوفسطائية، ويبدوا أنّ هذه اللحظة عكست الرغبة في التغيير وهو ما يظهر في مختلف التصرفات اليومية التي إقترنت بتعلم الشباب وتدريبهم على الفضيلة وعلى مختلف صنوف المعرفة، إن توسيع دائرة الممارسة يمكن أن لا تطال: الصداقة – الروح – الكلام من خلال المنهج العام الذي إتبعه سقراط "التوليد – التهكم".. " فقد كان يعالج الروح بواسطة الكلام"[1]، وقد شكل هذا الفعل في الفلسفة نقطة تحول في تاريخ الفكر اليوناني في حد ذاته، مادام أنّ موت سقراط بحجة إهانة الآلهة ومعاداة المجتمع، شكل حافزًا مباشرًا إعتمدت عليه الفلسفات اللاحقة وبالأخص عند أفلاطون فكانت كتابة الخطاب السقراطي في صحائف التاريخ هيئ الجو فيما بعد للفلاسفة، وهو ما تجلى في المحاورات التي كانت دائمًا على لسان سقراط في نظرته لمعنى الفضيلة....إلخ. ويعد أرسطو من بعد أفلاطون الباعث الحقيقي للتفلسف على اعتبار أنّ تصنيف النصوص عنده يشير إلى أنّ فروع المعرفة يمكن اعتبارها علومًا. وأنّ الأ فضل إعتبارها منظمة التعليم مكتمل وليست سجلات لأبحاث تجربية، وإنطلاقًا من ذلك فإن العلوم حسب التصنيف الأرسطي تتفرع إلى

ثلاثة فروع أساسية منها ما هو نظري ومنها ما هو عملي وفعلي، فالعلم النظري يسعى إلى المعرفة من أجل المعرفة، أما العملي فيهتم بالأداء وجودة العلم على الصعيدين الفردي والجماعي والفعلي هو يهدف إلى خلق أشياء جميلة ومفيدة، وكتحليل أولي لهذه الفلسفة فإن الملاحظة العاملة تؤكد أن فلسفة الفعل لم تكن غائبة في الفكر الأ رسطي وعلى هذا الأساس فالفعل عنده قد يكون فعلا ً إراديًا أو فعلا ً لا إراديًا أن التركيز على الفلسفة الأرسطية وتوجهات سقراط الفلسفية لا يعني بالضرورة إقصاء

للمدارس اليونانية المتقدمة كاليثاغورية والرواقية، ما دام أنّ ذلك يمثل لبنة أساسية لتقدم هذا الفكر.
وفي الفكر الإسلامي فإن معنى الفعل كان ثابتًا عند الفلاسفة كالكندي الغرابي– ابن سينا – ابن رشد ... الخ، وهو ما يظهر جليًا من خلال المجال الفكري والبحث المستمد في قضايا العقيدة والذي ومدى مطابقة الطروحات الفلسفية لها شملت: إثبات وجود الله – مصير الأرواح – النفس –وإعتبروا أنّ الفعل الفكري هو أصدق ما يمكن أن يعطي للحقيقة معناها ومفهومها وانطلاقًا من هذا التأسيس فقد وضع إبن باجة الفعل في رتبة الفصل النوعي وهو ما يستنتج من قوله عند تعريفه للإنسان: "....**يمتاز عن جميع هذه الأصناف بالقوة الفكرية وما لا يكون إلا ّ بها**".[2] وإذا كان وصف الإنسان بأنه الفاعل فإن للفعل عنده يتحقق بوجود شروط محددة يربط فيها بين الفعل الإ نساني الذي هو في النهاية فعل إختيار- والإرادة باعتبار أنّ إرادة الاختيار هي حالة ثابتة نستنتج مصداقيتها في الفعل.
ومن جانب آخر فقد بحث ابن مسكويه في كتابه: "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف" مسألة الفعل الإنساني باعتبار أنّ ذلك سوف يحقق سعادة الإنسان.
*"**فالأساسي في الفعل، عند أرسطو ليس هو ما يوصل إليه الفعل، بل هو الفعل ذاته الذي هو لذاته غاية ذاته، أما خصائصه والتي كثيرًا ما لا نتحكم بها، فإنها لا تمنعنا من الفعل بقدر ما تدفعنا إلى أن تفعل على أفضل وجه مسكن ...**"
فإذا كان العقل هو ما يميز الإنسان فإن السعادة هنا تتحقق بصدور أفعاله عند ذلك بحسب ما يميزه وبالتالي يختاره، وإنطلاقًا من ذلك يعمد إلى تأسيس الفكر الأخلاقي عنده على العقل لا غير، على اعتبار أنّ ربط العقل بالاخلاق يميز بالضريرة الفعل و السلوك الراشد عند السلوك الجماني، الذي هو غير مهذب على حد تعبيره.[3]
خلاصة القول أنّ فلسفة الفعل كانت حاضرة في الفلسفة اليونانية والإسلامية، وبالتالي يمكن القول بأنه فلسفة الفعل ترجع أصولها التأسيسية إلى الفلسفية اليونانية.

مراجع المحاضرة:

1) العيادي، مرجع سابق، ص102.
2) ابن باجة، تدبير المتوحد، تنسيق سامي بن أحمد، دار للنشر، تونس2009، ص 25 نقلا عن مقال: فلسفة الفعل إشكال فلسفي بأفق تأسيسي (بشير ربوح)-2016، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية.
3) أنظر في ذلك: مسكويه (أحمد) تهذيب الأخلاق وتطهر الأعراق.

المحاضرة 03 فلسفة الفعل في الفكر المعاصر

إن تتبع مسار الفعل في الفكر المعاصر يقتضي من الناحية التاريخية البحث عن العلا قة بين الفعل والمنهج من خلال المرور بفلسفة هيغل –هيدغز-برغسون-ريكور-دولوز –هابرماس ...على اعتبار أن تنامي مفهوم الفعل في هده الفلسفات أعطى مؤشرا قويا لإعطاء تصور جديد لفسفة الفعل وانطلاقا من هذا التحديد يمكن أن نتساءل ما هو مستوى الحضور لمعنى الفعل في الفكر الغربي ؟ وهل قدمت الفلسفة المعاصرة تصورا جديدا بعيدا عن التصورات التقليدية ؟وسنكتفي بالإجابة عن الأسئلة السابقة كتتبع مسار هذه الفلسفة في فلسفة بول ريكور وهيدغز

1- **هيدغر**: يعتبر كتابة هيدغر الوجود والزمان اللحظة الحاسمة التي ارتكزت عليها الفلسفة الوجودية والتي يمكن أن نستقصي منها مفهوم الفعل مادام أن الفعل الإ نساني يرتبط من هذه الناحية بالوجود ا" الكائن هاهنا آو الديزاين ويبدو أن لغة نيتش ه حول الإنسان المتعالي والانقلاب الصريح عن القيم التي كانت تمثل الفعل قد وجدت طريقا في المتن الهيدغري الذي توج في النهاية بتوجه صارم نحو الاشتغال على مفهوم الفعل المنغلق بالدزاين او الكائن هاهنا في هذا العالم يقول فتحي المسيكيني معلقا على ذلك:

" لماذا لم يبدأ هيدغر في تحليلاته بالأنا او الذات وليس العالم؟ لان الدزاين لا يفهم نفسه في غالب الأحيان انطلاقا من نفسه بل انطلاقا من العالم الذي ينشغل به فهو في أول أمره صانع في ذلك العالم ومنهمك فيه ثمة فالمطلوب من اجل النهوض بالسؤال ومن يكون ؟ هو انه يعاود استملاك نفسه وتحريرها مما هو غريب منها (1)

وانطلاقا من ذلك فهذه الكونية ترتبط بالبعد الانطلوجي هو بعد الزمان أو الاستباق

لكي يرتقي إلى مستوى الكينونة الأصلية ويبدو أن هيدغر استثنى متنه الفلسفي مفهوم الفعل وهذا نظرا لكون الدزاين من حيث هو عزم إنما هو عزم إنما هو يفعل بعد وقد نتحاشى مصطلح الفعل عن قصد.

2- **بول ريكور**: يعد بول ريكور الفيلسوف الفرنسي 1913-2005 من الفلاسفة المعاصرين الذين اهتم بمسالة الفعل في الفكر الغربي المعاصر وهو ما يتضح من خلا ل كتابه فلسفة الإرادة الذي يعد مدخلا ضروريا لفلسفة الفعل وتنظيرا أساسيا لها وانطلاقا من مشروع ريكور الانتروبولوجية فان الفعل الإنساني عنده يتخذ ثلاثة مراحل أساسية:

1- الفعل كتحفيز

2- الفعل كرضا

3- الفعل كمشروع

وعلى خلاف الفلسفات السابقة فان حديثا عن الفعل وجب أن يستثنى حسب ريكور التسليم التقليدي الذي يجمع الفعل بالفكر على اعتبار انه وسع الاهتمام بالنقيض الفعل اللارادي وقد بين ريكور انه البحث عن الفعل يجب انه يشمل التفسير الديني انطلاقا من تساؤله الدائم والامشروط عن الأفعال الأفعال السيئة التي تجلب للإنسان مشكلة الشر باحثا عن أسبابها ودوافها وعن أصولها اتفق ريكور مع فرويد برد الفعل إلى دوافع لاشعورية وهو ما يظهره كتابه التأويل محاولة حول فرويد على الرغم من معارضة لبعض الأفكار المتعلقة باللاشعور

" وهكذا تخضع أفعال الإنسان لنوعين من التأويل تأويل استرجاعي ايكولوجي يرجعها إلى دوافع لاشعورية مضمرة يجب الكشف عنها وتأويل قصدي نيولوجي يقرا مقاصدها (2)

وكخلاصة يمكن القول بان المقاربة السابقة تتضمن اختيارا موجها وذلك للاقتراب من فلسفة الفعل على الرغم من انه مسار هذه الفلسفة هو متلاحق فلا يمكن فصل فلسفة هيدغر عن نيتشه بل مفهوم الفعل هو امتداد تطوري لهذه الفلسفة.

هوامش المحاضرة:

1-ربوح(بشير). فلسفة الفعل مدخل معرفي وتقص مفهومي. مجلة الآداب والعلوم الا جتماعية. العدد4-المجلد1-2019ص13.

2-عقيبي(لزهر). مجلة علوم الإنسان والمجتمع. العدد8. 2013. ص433

المحاضرة الرابعة: فلسفة الفعل في الفكر العربي المعاصر

لا يمكن أن نستثني دور الفلسفة العربية المعاصرة ونحن في صدد الحديث عن فلسفة الفعل. على اعتبار أن القضايا التي عالجتها وانشغل بها المفكرون العرب تتعلق بقضايا التراث والحداثة. ولعل أهم حدث هو النهضة العربية. ومن الثابت أن جملة المفكرين أرادوا الإجابة عن الإشكالية التي مادها- لماذا تطور غيرنا وتخلفنا نحن؟

ان طرح هذا التساؤل والإجابة عنه تفرض على المفكر التركيز على علاقة السؤال بـ الواقع العربي وقد كشف لنا تحليل وتأويل هذه الفلسفة حقيقة الترابط بين معنى الفعل والحقيقة في الفلسفة العربية-فما الذي يثبت حضور فلسفة الفعل في الفكر العربي الإسلامي؟

لقد كشف لنا تحليل بنية الفكر العربي المعاصر إدراك أن هذا الفكر موجه إلى بنيته الداخلية. مما يدل على أن هذه الفلسفة تعاني مشاكلها وتحاول إيجاد الطريق والحل المناسب لما يعترضها من عقبات مثل مشكلة التخلف بالمقارنة مع الغرب. تطبيق الديمقراطية- قضايا الدين والدولة.

إن مقابلة الواقع المتخلف بما توصل اليه الغرب وقد انساق المفكرين العرب الى محاولة نقد هذا الواقع بغية اصلاحه بتناول قضايا هي من صميم مايعيشه الانسان على الرغم من اختلاف توجهاتهم وتعدد مشاربهم ، وهو مايظهر في اعمال زكي نجيب محمود حسن حنفي – الشبلي الشميل .....

ان دلالة الفعل في الفسفة العربية يضمنها الوعي اللامشروط بخصائص الفعل بـ الرجوع الى وعي الحياة العملية. ويمكن ان نلمس هذا الرجوع عند المفكر ناصيف نصار الذي حاول ان يبني موقفه على مقولة الفعل على الرغم من عدم وضوح طبيعته وطبيعة المشكلات التي يواجهها، وقد اعتقد ان مقولة الفعل هي مرادفة للوجود التاريخي اذ يقول:

"مقولة الفعل او مقولة الوجود التاريخي. لكن الفلسفة الحديثة تفرق بينهما تفريقا شاسعا"[1]

- 8-عقيبي(لزهر). دلالة الفعل في الفلسفة العربية. مجلة علم الانسان. العدد1 .435. ص2013.